«أنت ملح ونور!» (أفسس ٥: ٨-١٤)

تأليف: جون ل. كاخلمان

إذا قرأت النقوش في المقابر، قد تجد سيرة ذاتية مختصرة للمدفونين هناك. أمثلة للنقوش الشائعة هي: «كانت والدة صالحة»، «والد طاهر، رحل إلى السماء»؛ «والد أمين، وزوج محبوب». توجد على بعض القبور أقوال رثاء أطول من ذلك. وُجدت في مقبرة ما قبر لطفلة صغيرة، تم حفر الكلمات التالية على بلاط الجرانيت: «كان من السهل للشخص أن يكون صالحاً عندما كانت معنا». توضح هذه العبارة القصيرة عن مثال تلك الطفلة الصغيرة مدى الأهمية البالغة لأن يحافظ المسيحيون على تأثير نفوذ صالح.

أنت كمسيحي اصبح لك الآن أقوى تأثير على الاطلاق للصلاح الذي حصلت عليه! لقد أشار الرب إلى هذه القوة بقوله: «أَنْتُمْ مِلْحُ الأَرْضِ ... أَنْتُمْ نُورُ الْعَالَمِ ...» (متى ٥: ١٣ و١٤). تجاهل الشخص لقوة نفوذه هو إغفال سخيف. من المتوقع أن يستخدم المسيحي قوة نفوذه الجديدة ليمجد الله. تتحدث الرسالة إلى أهل أفسس ٥: ٨-١٤ عن هذا الصلاح.

أنظر إلى هذا القسم من الرسالة إلى أهل أفسس، ولاحظ الضرورة الملحة لتطوير تأثير النفوذ المناسب. تقول الأسفار المقدسة انه ينبغي على الذين يتبعون الله أن يكونوا أمثلة جيدة لمساعدة أهل العالم كي يجدوا بركات الخلاص. أنت الآن مِلْكاً لله؛ لهذا ينبغي أن تحافظ على نفوذ صالح.

الواجب (٥: ٨)

كانت الديانات الوثنية تعلم أن الشخص يفتقر إلى الفهم إلا أن يكشف «وسيط الوحي» أسرار معينة في الحياة. كان الذين يدعون بانهم حصلوا على الوحي يسمون بـ«المستنيرون». يؤمنون بان عقولهم التي كانت مظلمة ذات مرة قد أستنيرت بالمعرفة. وكان الذين يريدون فهم متاهات الحياة يطلبون مشورة «المستنيرون».

وصف بولس المسيحيين بانهم المستنيرون الحقيقيون. كان أعضاء الكنيسة التي في أفسس قد عاشوا ذات مرة في الظلمة، ولكن حالتهم تغيرت عندما رجعوا من ظلمات إلى نور. وقد فعلوا هذا بالاستماع إلى الإنجيل والإيمان به وإطاعته (أعمال ٢٦: ١٤-١٩؛ كورنثوس ١: ١٣). عندما يختار الشخص أن يخرج من الظلمات إلى النور، يتطلب منه ذلك أن يعيش بطريقة مختلفة اختلافاً جذرياً. لهذا لا يقبل المسيحي أن يعيش حسب طرقه القديمة ويتجنب أنواع معينة من الناس (٥: ٧)؛ وهو الآن يعيش بكيفية توصف بالـ«نور».

يتجسد واجب إظهار نفوذ صالح في عبارة «أولاد نور». الذين أطاعوا وصايا الله لم يخرجوا من عالم الظلمة إلى عالم النور فحسب، بل صاروا بالحقيقة نور (يوحنا ٨: ١٢). يكون المسيحي مقتدياً بالله ويتوقع منه أن يتجنب الظلمة (١ يوحنا ١: ٥).

هذا التغيير المذهل من الظلمة إلى النور هو دليل على الإهتداء الصادق. تُحْكَى قصة عن سائح في الصين والذي سأل قروياً عما إذا كان قد سمع الكرازة بالإنجيل من قبل أم لا. أجاب القروي: «كلا، لم أسمع قط الكرازة بالإنجيل، ولكني قد رأيتها. كان هناك رجل في قرية أخرى يرعب ويخيف جيرانه. وكان عصبيا. وكان مدخناً للأفيون، ومجرماً خطيراً. ولكن الإنجيل غيره. أصبح لطيفاً وطيباً. ولا يدخن الأفيون في ما بعد. كلا، لم أسمع الإنجيل أبداً؛ ولكني رأيته، وهو جيد جداً!»

ينبغي على كل مسيحي أن يظهر التغيير العجيب الذي يأتي عند الإهتداء. كلام الكتاب المقدس واضح

جداً: «اسْلُكُوا كَأَوْلاَدِ نُورٍ». عليك أن تعيش بالطريقة التي تبين أنك بالحقيقة ابن/ابنة الآب السماوي الذي «لَيْسَ فِيهِ ظُلْمَةٌ الْبَتَّةَ» (١ يوحنا ١: ٥). كيف يقدم نفوذك أدلة بانك الآن من «أولاد نور»؟

المميزات (٥: ٩)

بينما ليس هناك شك في أنه ينبغي أن يعيش المسيحيون «كَأَوْلاَدِ نُورٍ»، الا أن البعض قد لا يفهمون تمام الفهم ما يشمله تتميم هذا الواجب. ذكر بولس بالوحي الطرق التي بها يمكن مرعاة وحماية تأثير نفوذ المسيحي.

أولاً، عمل الصلاح. لا شك أن هذه الميزة تصف نوع النفوذ الذي يجب أن يحافظ عليه المسيحيين. «الصلاح» فضيلة تضع التوكيد على اللطف والإستعداد للمساعدة. الشخص المعروف بصلاحه يكون مليئاً بأفكار وسلوك إيجابية؛ يفعل دائماً أعمال صالحة. قلبه الطيب جعل له اخلاق طيبة. كيف يجب لتصرف المسيحي أن يجعله يمتليء بالصلاح؟ ينبغي أن يتعامل مع الجميع بلطف وعدل. لا يستغل أحداً، ويدافع عن الذين يظلمهم آخرون. عمل الصلاح يشمل التهذيب والتوبيخ والتوجيه كما يشمل أيضاً المحبة والاحترام والعون. من يتحكم فيه الصلاح لا يوافق مع الشر أو يسمح بمرور الشر دون توبيخ. ويعمل كل ما بوسعه لايقاف الشر.

ثانياً، الاقتداء بالبر. تتضمن كلمة «بر» على أن الشخص القويم يعمل الاستقامة. يتحكم البر في نفوذ المسيح بحيث يستمر في علاقة قويمة مع الله ويستمر يعيش حياة البر إذ يعمل ما يتوقعه الله منه. البر يتحكم فيه الإيمان (رومية ٤: ١-٣، ٢٢؛ ٥: ١). عندما يأتي الشخص إلى الإيمان بالله ويطيع وصاياه، يكون «مخلوق بحسب الله في البر» (أفسس ٤: ٢٣ و٢٤). قلبه المليء بالبر يساعده في المحافظة على النفوذ اللائق لانه يرغب في أن يكون قويماً ويعمل الإستقامة. فهو كلما واجهه خيار معنوي أو إخلاقي في الحياة، يذكره البر بان يسأل قائلاً: «أهذا قويم عند الله؟ أهذا الشيء الصحيح الذي يجب عمله؟»

ثالثاً، يكون نفوذ المسيحي ملائماً لأنه يتبع الحق المطلق. الذين يعرفون الله يعترفون بوجود الحق وهذا الحق باقي كما هو. ينبغي للمسيحي أن يحرص على أن يبقى نفوذه ثابت، وإلا فلا يتبع الحق. سيطلب كثيرون إتباع الحق ما دام ملائماً أو مريحاً. ولكن أحياناً عندما يبدأ الناس يدركون أن حق الله هو عكس ما يريدون عمله، ينفعلون. النفوذ القويم هو نفوذ المسيحي الذي يتبع الحق بحرص وثبات.

بما انك اصبحت الآن مسيحياً، واجبك هو أن تكون «نور» و«ملح» للعالم. يجب أن تستخدم نفوذك لمساعدة الآخرين في فهم كلمة الله ويطيعوا وصاياه. كيف تقوم بهذا؟ بعمل الصلاح والبر وإتباع الحق في جميع خياراتك وأفعالك!

النهج (٥: ١٠)

تم التعبير بواجب المسيحي لإظهار النفوذ الملائم في أفسس ٥: ٨. قيل لنا الآن كيف نعمل هذا بالضبط. عندما تكون لنا خيارات في الحياة ينبغي أن نختار ما هو أفضل لـ«أولاد نور» أن يعملوا.

تُرجمت الكلمة اليونانية التي استخدمها بولس هنا لوصف الكيفية التي يعمل بها المسيحيون خياراتهم في الحياة إلى «مُخْتَبِرِ» في هذا النص، وتُرجمت في أماكن أخرى إلى «يستحسن» أو «تستحسن» (راجع رومية ١٤: ٢٢؛ ١ كورنثوس ١٦: ٣). يحرس المسيحي نفوذه بالتأمل في خياراته وتقييمها وفحصها لتحديد ما يريد الرب له أن يعمل.

ينبغي أن تتعلم كيف تحمي نفوذك كمسيحي. لقد أعطاك الكتاب المقدس معرفة حق الله المطلق. ولكن كلمة الله تعلمك بالمباديء، انها لا تحررك من مسؤوليتك للتفكير بالوضع وتختار الخيار الصالح!

عليك أن تقرر عما ستعمل وعما تقول وكيف تلبس وأين تذهب ومن تزامل. لماذا؟ لأن نفوذك يتوقف على مثل هذه الخيارات! انك لم تعد تسلك في الظلمة، بل أنت الآن ولد/بنت نور، وخياراتك ستؤثر على نفوذك. لا تصنع قراراتك لإرضاء نفسك أو إرضاء الآخرين (غلاطية ١: ١٠)، بل لإرضاء الرب (٢ كورنثوس ٥: ٩؛ فيلبي ٤: ١٨؛ كولوسي ١: ١٠). عليك أن تسلك كولد/بنت للنور لأنك تعرف انه عندما تفعل هذا سترضي الله.

الصراع (٥: ١١ و١٢)

لا يكون من السهل دائماً أن تحمي سمعتك. سيعمل إبليس كل ما بوسعه لإقناعك بان تصنع خيارات قد تؤثر سلبياً على نفوذك. لهذا ناشد بولس المسيحيين أن يتجنبوا أناس وأعمال ما (١ كورنثوس ١٥: ٣٣؛ ١ تيموثاوس ٦: ٣-٢١).

يجب أن يكون نفوذ المسيحي قوي بما فيه الكفاية بحيث «يكشف» ظلمة الخطيئة. يسكت الكثير من المسيحيين ويسمحوا لأعمال الخطيئة المظلمة بالمرور دون مواجهة. الخطيئة التي تُرتكب بجراءة مهما كانت مشينة ويتم الحديث بها علانياً، ولا تُقال كلمة توبيخ واحدة! عادة ما تخوف جراءة الخطيئة المسيحي الذي يضعف السكوت نفوذه. لكي يواجه بولس مثل هذا التخويف، كتب قائلاً: «لأَنَّ اللهَ لَمْ يُعْطِنَا رُوحَ الْفَشَلِ، بَلْ رُوحَ الْقُوَّةِ وَالْمَحَبَّةِ وَالنُّصْحِ. فَلاَ تَخْجَلْ بِشَهَادَةِ رَبِّنَا ...» (٢ تيموثاوس ١: ٧ و٨).

تأتي إحدى أكبر التجارب التي تواجه المسيحي في نطاق المشاركة مع الذين قد يساومون بنفوذه. المسيحي ملزم بالإبتعاد عن الأعمال ذات الصلة بالـ«ظلمة» وليس «نور». لا تشعر الـ«ظلمة» بإرتياح عندما يكشف عنها الـ«نور» (يوحنا ٣: ١٩ و٢٠). لا يحسن المسيحي نفوذه أبداً بأن «يشترك» مع الذين يعملون أعمال «قبيحة».

عندما أصبحت مسيحياً انضميت إلى الصراع بين النور والظلمة. اعتزم بان تبقى قوياً ولا تنحني عندما تواجهك الظلمة. ليضيء نورك! تُحكى قصة عن شاب جند في الجيش. وكان من عادته أن يقرأ الكتاب المقدس كل ليلة ثم ينحني في الصلاة. في أول ليلة قضاها في المعسكر أصبح في معضلة. كان يحيطه جنود يشتمون ويمزحون بالفجور. وعرف انهم سيسخرون به إذا بدأ يقرأ الكتاب المقدس ويصلي. فقرر أن يخرج من المعسكر ليجد مكاناً منزوياً يقرأ فيه الكتاب المقدس ويصلي. ولكنه أدرك أن مثل هذا القرار لا يكون مرضياً عند الله. وبدلاً من ذلك، ذهب إلى سريره بهدوء وجلس وفتح الكتاب المقدس وصلى. فصار هناك هدوء في المعسكر وكانت تنظر إليه جميع العيون. وفي ما بعد، قيلت بعض كلمات السخرية وآخرون استهزأوا به، ولكن هذا الشاب قرر ألا ينهي ذلك. في الليلة التالية فعل الشيء نفسه. وكانت هناك كلمات أقل سخرية. وفي خلال ستة شهور، أصبح هناك آخرون يقرؤون الكتاب المقدس ويصلون قبل النوم. وبعد فترة من الزمان أصبح أكثر الذين كانوا قد سخروا به مستعدين للقتال من أجله لأنهم أصبحوا يحترمونه الآن.

نعم، سيأتي الصراع في حياتك بينما تصنع خيارات لإرضاء الرب. أرجو ألا تسمح للصراع بأن يساوم بنفوذك!

الكفاح (٥: ١٣ و١٤)

ينبغي للنفوذ المسيحي أن يساعد على تنوير الآخرين على الحق والبر والصلاح. لا ينبغي أن يسكت لأنه ملزم بان يكون قوة في مجتمعه. يكون الملح والنور عديمي الفائدة إن لم تكن لهما قوة للتأثير في بيئتهما!

يجب للتأثير الصالح أن يكافح ويعمل لكشف الشرور ويوقظ المطمئنين الذين يشاركون في أعمال الإثم. قد يجد المسيحيون الرضا بالتأثير على العالم بحيث يكون هناك الصلاح!

بما انك أصبحت مسيحياً، فسيصبح لك نفوذ رائع. بخياراتك بخصوص الأماكن التي تذهب إليها، وما تعمل وكيف تتكلم وكيف تختار الزملاء، تبين للذين يعيشون في الظلمة بركات السير في النور. سيأتي مثالك بالفرح والشكر في حياة كثيرين بسبب إيمانك الراسخ بالله (١ تسالونيكي ١: ٢-١٠).

أفكار ختامية

النص الوارد في الرسالة إلى أهل أفسس ٥: ٨-١٤ مليء بالتحذيرات للمسيحي. يجب أن تكون حذراً لحماية نفوذك. في الواقع ينبه ما ورد في ٥: ١٦ بان تكون حذراً جداً. بالحياة المهملة قد تفقد تأثير نفوذك على العالم.

المسيحي الذي لا يحمي نفوذه سيُحرج. نعطي مثالاً توضيحياً لهذه المأساة بقصة كوميدية عن ملاكم محترف من الثلاثينات من القرن العشرين في الولايات المتحدة الأميركية. كان اسمه سي.دي بلالوك. هذا الاسم غير مألوف كأسماء بعض الملاكمين المحترفين

الآخرين. ولكن أداء بلالوك في حلقة الملاكمة لا يمكن نسيانه. دخل بلالوك إلى الحلقة مع ملاكم آخر، وبدأت المباراة. وفي تلك المبارة حدثت أحد أغرب الأشياء في تاريخ الملاكمة. حاول بلالوك أن يسدد ضربة لخصمه، ولكن تفادى الملاكم الآخر تلك الضربة، فأخطأ بلالوك هدفه وضرب نفسه. ترنح بلالوك على مشهد من الجميع ووقع. وأصبح الملاكم المحترف الوحيد في التاريخ الذي سجل نقطة بالضربة القاضية على نفسه![1]

يا للمأساة عندما يسمح المسيحيون لقراراتهم بأن تعمل على نفوذهم ما عمل بلالوك على نفسه! يختار بعض الناس نمط حياة تجعل تأثيرهم الإيجابي بلا قوة. قد يحدث هذا بسبب الطبع غير المنضبط، أو الكلام الساخر أو اللهجة البذيئة أو المشاعر غير المنضبطة أو المطامع الدنيوية أو أي من الأعمال الأخرى غير اللائقة. أرجو الذكر أنك كمسيحي قد تقدست لتكون ملْكاً لله. إذاً عليك أن تبين الصلاح والبر والإخلاص. أَحترس من خطورة العيش بطريقة يفقد فيها نفوذك تأثيره الإيجابي (١ كورنثوس ٩: ٢٦ و٢٧).

بنفوذك المسيحي لك قوة لمساعدة الآخرين أن يروا نور حق الله. وبإظهار المثال الجيد، يمكنك أن تقود شخص آخر ليخرج ظلام الخطيئة. انظر إلى نفوذك الشخصي نظرة جادة. من يدخل السماء بسبب مثالك؟

[1] زيق زيقلار في مقالة بعنوان «Behaviors Bring Nothing but Grief and Turmoil» من «Pecos Enterprise, Opinion» تم الحصول على هذا من موقع الإنترنت (www.pecos.net/news/arch97a/07169o.htm) في ١٩ نوفمبر سنة ٢٠٠٣.

تمرين روحي

التمرين شيء مهم للنمو الروحي، كما أن التمرين مهم للنمو البدني. افترض أن شخص ما قرر أن يرقد في سريره ولم يعد يقوم منه. فانه بعد وقت ليس ببعيد لا يقدر أن يقوم من السرير. التمرين ضروري لكي يحدث النمو. في الرسالة إلى العبرانيين ٥: ١٢ و١٣ تحدث الكاتب إلى الناس الذين أصبحوا مسيحيين منذ وقت ليس بقريب، وكان عليهم معلمين للآخرين. ولكنهم لم ينمو روحياً. ظلوا أطفالاً يحتاجون إلى لبن وليس اللحم. مضى بولس ليقول: «وَأَمَّا الطَّعَامُ الْقَوِيُّ فَلِلْبَالِغِينَ، الَّذِينَ بِسَبَبِ التَّمَرُّنِ قَدْ صَارَتْ لَهُمُ الْحَوَاسُّ مُدَرَّبَةً عَلَى التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ» (٥: ١٤).

في حياتنا الجديدة في المسيح نحصل على اختبارات تعطينا الفرص لنمرن إيماننا. ويشمل هذا على التعبير بكلمات تشجيعية، والحياة القويمة، وخدمة احتياجات الآخرين. هذا النوع من التمرين يشجع النمو الروحي. النمو الروحي هو طبعاً عملية تدريجية لا تحدث بين عشية وضحاها، بل تحدث خطوة واحدة بعد أخرى.

يريد الطفل أحياناً أن يقيس قامته ليرى كم بلغ من القامة. قد يضع أبوه أو أمه علامة على حائط تشير إلى قامته. ويريد قياس طوله مرة أخرى في الشهر التالي ليرى كم زادت قامته. لا نرى الزيادة في نمو الطفل كل يوم، ولكن بمرور الأسابيع قد تكون هناك علامات أخرى على الحائط تزيد إلى الأعلى. يحدث النمو تدريجياً. هكذا أيضاً نمونا في المسيح يحدث تدريجياً.

بقلم/ جاي لوخارت

جميع الحقوق محفوظة ٢٠١٠